

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

@ 399 () () كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به () ومثله عن وكيع بن الجراح ، وعن ابن مسعود () () ليس العلم عن كثرة الحديث ، إنما العلم خشية () والآثار في هذا النحو كثيرة . وبما ذكر يتبين الجواب عن الإشكال الثاني ، فإن علماء السوء هم الذين لا يعملون بما يعلمون ، وإذا لم يكونوا كذلك ، فليسوا في الحقيقة من الراسخين في العلم ، وإنما هم رواة ، والفقه فيما رووا أمر آخر . أو ممن غلب عليهم هوى غلب على القلوب والعياذ بالله على أن المثابرة على طلب والتفقه فيه ، وعدم اجتراء باليسير منه ، يجر إلى العمل به ويلجئ إليه ، كما تقدم بيانه ، هو معنى قول الحسن : () كنا نطلب العلم للدنيا ، فجرنا إلى الآخرة .) () وعن معمر أنه قال : () كان يقال : من طلب العلم لغير الله ، يأبى عليه العلم حتى يصيره إلى الله .) () وعن حبيب بن أبي ثابت : () طلبنا هذا الأمر ، وليس لنا فيه نية ، ثم جاءت النية بعد .) () وعن الثوري قال : () كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة .) () وهو معنى قوله في كلام آخر : () كنت أغبط الرجل يجتمع حوله ؛ ويكتب عنه ، فلما ابتليت به ، وددت أني نجوت منه كفافاً لا على ولا لي) () وعن أبي الوليد الطيالسي قال : () سمعت ابن عيينة منذ أكثر من ستين سنة يقول : طلبنا هذا الحديث لغير الله ، فأعقبنا الله ما ترون) () وقال الحسن : () لقد طلب أقوام العلم ، ما أرادوا به الله ، وما عنده . فما زال بهم حتى أرادوا به الله وما عنده) () . فهذا أيضاً مما يدل على صحة ما تقدم () .

ثم قال الشاطبي بعد ذلك : () ويتصدى النظر هنا في تحقيق هذه المرتبة وما هي ، والقول في ذلك على الاختصار أنها أمر باطن ، وهو الذي عبر عنه بالخشية في حديث ابن مسعود ، وهو راجع إلى معنى الآية . وعنه عبر في الحديث ، في أول ما يرفع من العلم الخشوع وقال مالك : () ليس العلم بكثرة الرواية ، ولكنه نور يجعله الله في القلوب) () . وقال أيضاً : () الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء ، وليس بكثرة المسائل ، ولكن عليه علامة ظاهرة ، وهو التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود . وذلك عبارة عن العمل بالعلم من غير مخالفة وبالله التوفيق) () . انتهى .